

بسم الله الرحمن الرحيم

الأربعون النووية

(٣)

(الحديث الثالث)

إن الحمد لله تعالى نحمده، ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أعمالنا وسيئات أعمالنا، فإنها من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله -صلى الله عليه وعلى وآله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد...

وصلنا بفضل الله ومنه وكرمه إلى الحديث الثالث من هذه الأربعين المباركة لهذا المبارك السيد الحصور أبو زكريا يحيى بن شرف النووي رحمه الله تعالى.

الحديث الثالث عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْت رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وآله وسلم- يَقُولُ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِةِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ».

هذا الحديث هو الحديث الثالث من الأربعين المباركة وهو من جوامع الكلم حتى أن ابن مهدي وابن المديني قالا:

إن مدار الأحاديث على أربعة: فذكروا منها حديث «إنما الأعمال بالنيات» وحديث «لا يحل دم امرئ مسلم» «وبني الإسلام على خمس» الحديث الذي معنا، وحديث« البينة على المدعي ».



صحابي الحديث: هو عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وكنيته أبو عبد الرحمن، عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، أمه أي: أم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ،زينب بنت مظعون وهي أخت عثمان بن مظعون رضي الله عن الجميع، عبد الله بن عمر هو أحد العبادلة الأربعة المشهورين بالعلم والفقه والزهادة توفي ﷺ قيل سنة ثلاثًا وسبعين، وقيل سنة أربع وسبعين من الهجرة وعمره قيل أربع وثمانون سنة رضى الله عنه وأرضاه، .

معاني الكلمات:

بُنِيَ: بمعنى أسس، «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ» أي :على خمسٍ دعائم وأركان شهادة : التكلم بها أي (بلا إله إلا الله)عارفًا لمعناها عاملاً بمقتضاها باطنًا وظاهرًا، و لابد أن تكون إقرار عن علم ويقين.

قال: «شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» أي لا معبود حق إلا الله، أو لا معبود بحق إلا الله «وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ» الرسول من أوحي إليه بشرع جديد وأُمر بتبليغه قال: «وَإِقَامِةِ الصَّلَاةِ» الصلاة لغةً: الدعاء، شرعًا : التعبد لله جل وعلا بأقوال وأفعال مخصوصة تبدأ بالتكبير، وتنتهي بالتسليم.

قال: «وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ» الإيتاء: بمعنى الإعطاء.الزكاة لغة: الطهارة والنماء، وشرعًا: جزء من المال عند مالك النصاب يعطى للمستحق الذين هم الأصناف الثمانية المذكورة.

«وَحَجِّ الْبَيْتِ» الحج لغةً:القصد.وشرعًا: هو قصد البيت الحرام في زمن مخصوص على وجه مخصوص من شخص مخصوص.

قال: «وَصَوْمِ رَمَضَانَ» الصوم لغة: الإمساك.شرعًا: إمساك مخصوص عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس .



المعني الإجمالي: نقول في هذا الحديث المبارك يمثل النبي ﷺ لنا الإسلام ببنيان له دعائم وأسس يبنى عليها قال: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ» كأن النبي ﷺ يخيل لنا ويمثل لنا الإسلام ببناء هذا البناء له أسس وله أركان يبنى عليها، هذه الأسس الخمسة المذكورة معنا في هذا الحديث لا يثبت البنيان بدونها و ما سوى هذه الخمسة من خصال الإسلام هي مكملات لهذا الإسلام، إلا مادل الدليل على لزومه ووجوبه على المسلم .

الشرح التفصيلي للحديث.

يقول النبي ﷺ في أوله قال: «بني الإسلام على خمس» بني هذا الفعل يسميه العلماء (فعل لما لم يسمى فاعله) وهذا هو الأجود، فالبعض يقولون أنه فعل مبني للمعلوم ،فبني الإسلام معناها أي بني الله الإسلام،كما في قوله تعالى ﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨] أي :وخلق الله الإنسان ضعيفا، أي لا يتمالك أمام شهواته،(بنى)(فعل مبنيٌ لما لم يسمى فاعله) لماذا لم يُسمى فاعله ؟لأنه معلوم، تقول ﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ أي و(خلق الله) الإنسان ضعيفا أي أمام الشهوات فهو ضعيف لا يتمالك ليس له عزم،فيكون معني اللفظة: أي أسس الله الإسلام على خمس دعائم أو أركان.

قال «بني الإسلام على خمس»: ما هو الإسلام ؟

لغة: الاستسلام والخضوع

الإسلام شرعًا يطلق على ثلاث معان:

المعنى الأول الإسلام الخاص: وهو الدين الذي أرسل به محمد ﷺ أي معناه خاص،وهذا الإسلام مر معنا في حديث عمر رضى الله عنه، لما سئل عن الإسلام والإيمان والإحسان، وهو يشتمل على ثلاث مراتب إسلام وإيمان وإحسان.



وهذا الإسلام الخاص يطلب من جميع الخلق أن يلتزموا به وأن يدخلوا فيه ، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، والفعل (فَلَن يُقْبَلَ) فعل منفي بلن يعني لن يكون له أي نوع من أنواع القبول له،يرفض ويرد على صاحبه لأنه لم يلتزم بهذا الدين.

والدليل من السنة:ما جاء به النبي ﷺ ،وفي حديث أبا هريرة عند مسلم أن النبي ﷺ قال « والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار».

فإذن ببعثة النبي ﷺ صار دينه هو الدين المطلوب وغيره من هذه الأديان الأخرى صارت أديان باطلة كمثل النصرانية، واليهودية، فالكل يجب عليه الالتزام بهذا الدين، ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾، ﴿وأرسلناك للناس رسولا﴾ ،كل الناس أرسل إليهم ولذلك قال : «بعثت إلى الأحمر والأسود». إلى الجن والإنس،فالكل يجب أن يلتزموا هذا الدين الذي أتى به النبي،ﷺ

وكذلك أيضا في حديث لذة الإيمان، ذاق حلاوة الإيمان من هذه الثلاثة قال: « وأن يكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يقذف في النار». يكن عنده كره لكل كفر وجد، وأن يكون حبه للإسلام.

في رواية عند مسلم قال: «وأن يكره أن يعود يهوديا أو نصرانيا كما يكره أن يقذف في النار» فهذا هو الإسلام الخاص الذي لا يقبل الله من أحد غيره، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾.

المعنى الثاني الإسلام العام: هو دين الأنبياء جميعًا كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]. فنوح كان مسلما، وإبراهيم كان مسلمًا، وموسى وعيسى كلهم مسلمون، أي مسلمون الإسلام العام.



الإسلام العام معناه ثلاثة أشياء متراكبة ذكرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الثلاثة أصول لما عرف الإسلام قال:

(هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله)

أي ما من نبي إلا كان هذا دينه، الذي هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله، هذا هو الإسلام الذي هو دين الأنبياء جميعًا.

ولذلك يقول النبيﷺ :«الأنبياء إخوة لعلات أبوهم واحد وأمهاتهم شتى» المعنى: يقول النبيﷺ أن التوحيد واحد، والعقيدة واحدة، والدين واحد، ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ الذي هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله، والشرائع مختلفة، وهذا معنى:«الأنبياء إخوة لعلات أبوهم واحد وأمهاتهم شتى»(عل) أي شرب الرجل مرة بعد مرة، ولذلك يقولون في المثل العربي: (عل بعد نهل) نهل أي شرب عل أي شرب مرة أخرى فهذا الاعتقاد مع الشرائع كأنه رجل معدد للزوجات،يتزوج واحدة بعد أخرى لأن هناك تطور في التشريع،فروق تشريعية حسب المصلحة في كل زمان ومكان،حتى أتى هذا الدين الذي يصلح لكل زمان ومكان، فهذا هو الإسلام بمعناه العام الشامل، الذي هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

(الاستسلام لله بالتوحيد) أن يستسلم المرء ويخضع لله ﷻ بتوحيده- أي ١- (بإفراده في ربوبيته) أن يعلم أنه لا خالق، ولا رازق، ولا محي، ولا مميت، ولا ضار، ولا نافع، ولا يدبر الأمر، ولا يملك السمع والأبصار إلا الله سبحانه وتعالى وأنه هو مالك الملك لا مَالك غيره، ولا ملِك غيره، وأنه سبحانه السيد الذي يأمر ويُطاع سبحانه وتعالى.



٢-(وكذلك يُفرده في إلهيته) بأن يصرف العبد العبادات الباطنة والظاهرة محبته، وخوفه، ورجاءه، وانكساره، وتوكله، وإخباته، وذبحه، ونذره، واستغاثته، ودعاءه كل هذه العبادات إنما تصرف لله عَجَلّ ﴿وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا﴾ .

٣-(كذلك يفرد بتوحيد الأسماء والصفات) أن يثبت له ما أثبته لنفسه في كتابه أو في السنة الصحيحة أو يصفه بما وصف به نفسه في كتابه أو في سنته الصحيحة من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تمثيل، ولا تكييف كما سيأتي معكم في التوحيد.

٤-(كذلك يفرده ويستسلم له بالتوحيد في قضائه وقدره)فيعلم أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن على مراتب القضاء والقدر التي ذكرناها.

٥-(كذلك يفرده في شرعه) أي يفرده في حكمه الشرعي وحكمه القدري، (حكمه الشرعي)، يعلم أنه لا يشرّع إلا الله سبحانه وتعالى، إذن الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة يعني إذا أمر تمتثل، وإذا نهى تنزجر، وإذا حد حدا لا تتعداه إلى غيره،.

(وأما في القدري الكوني) أن ما شاء الله كان، وإن لم يشأه الناس، وأما في الشرعي ،فنعلم الذي يشرع هو الله جل وعلا ،فإن التحليل والتحريم لله جل وعلا، ليس لآحاد الناس، هذا استسلام لله جل وعلا في توحيده.

(والانقياد له بالطاعة) المعنى: إذا أمر تمتثل الأمر، وإذا نهى تمتثل النهي، وإذا حد لك حدا فلا تتجاوز هذا الحد إلى غيره تكون قد استسلمت.، ألا تذكرون قصة إبراهيم عليه السلام قال الله عز وجل : ﴿فلما أسلما وتله للجبين﴾ أمره أن يذبح ولده خضع واستسلم ،انقاد لله جل وعلا بفعل أمره.



(والبراءة من الشرك وأهله)، أصل البراءة: البغض والبعد، فالبراءة من الشرك وأهله أنه يبغض هؤلاء المشركين ويبتعد عنهم وعن طريقتهم، بعكس الحب،قال تعالى: ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ فمن الكفر بالطاغوت، أن تبغض كل هذه الطواغيت وتبغض كل من عبد من دون الله، وتعلن أنك تتبرأ منهم، وتبتعد عن منهجهم وطريقتهم، ولذلك قال إبراهيم عليه السلام ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤]. تقتضي أيضا أن يعتزل الكافرين كما قال إبراهيم عليه السلام ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا * فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ [مريم: ٤٨، ٤٩]. يعتزل: أصلها البغض والبعد، ولكن يأتي سؤال.

هل معنى هذا أننا لا نستطيع أن نتعايش سلميا مع النصارى الآن؟.

نقول أبدا لأن الذي أتكلم فيه هو اعتقادي،فإن الاعتقاد ينافي الاعتقاد ، الاعتقاد الصحيح ينافي الاعتقاد الباطل، ولا يسوغ أبدا أن يسوى بين الاعتقادين،مثلا: أنت الآن بالمسجد، أنا أعتقد أنك بالمسجد، وهناك شخص آخر يعتقد أنك لست بالمسجد،هل نقول كلا القولين صواب؟

الجواب:لا. أحدهما صواب، والأخر خطأ محض بلا شك،نحن نقول: (وما صلبوه)، وهم يقولون: (صلبوه)، كيف نقول أن هذين الاعتقادين يتساويان؟ إما صحيح وإما خطأ؟ ليس هناك مفاصلة، أو مداهنة، أو مجاملة، هذه أمور اعتقاديه يعقد عليها القلب ويثبت عليها، إنما الأمور الأخرى من التعايش كالبيع والشراء،مسألة المواساة، مسألة التعزية التهنئة بأفراحهم بمواليدهم خارجة عن مسألة الولاء والبراء، لأن هذه أمور حياتية، أما الأمور الإعتقادية لابد فيها من التبيين، لا ينفع فيها المواربة والمداهنة، إنما يجب فيها الإعلان، ولنا الأسوة الحسنة في إبراهيم عليه السلام، فهذه



القضية قضية التعايش السلمي هذه قضية أخرى إنما قضية الاعتقاد الحب والبغض في الله ﷻ هذه قضية لا ينبغي أبدًا أن نراهن عليها. إنما معناه أننا نقول التعايش السلمي معناه تساوي الملل من يرضى بهذا؟هذا يخالف الشرع، ويخالف القدر أيضًا.

مثال آخر: إذا قلت أن الله إله واحد ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ فهذا معناه أنك تكره وتبغض من يقول أن لله ولد ، وإلا لم يكن لقولك ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ إثبات إذا اعتقدت أن غيرك لو قال أن له ولد أو أن هناك أب له أو أن هناك زوجة له أنه بهذا الأمر أنت وهو سيان لا فرق بينك وبينه هذا ما يكون أبدًا فإذا اعتقدت اعتقاد دل ذلك على نفيك وبغضك للاعتقاد الآخر.

هل النصارى كفار أم لا؟ بعض الناس يقول أنت بذلك تفت في عضد الوحدة الوطنية، من الذي قال إذا قلنا أن النصارى كفار فت في عضد الوحدة الوطنية؟ هم يقولون أننا كفار ، حتى النصارى فيما بينهم على اختلاف طوائفهم أرثوذكس، وكاثوليك، وبروتستانت يكفر بعضهم بعضا عندهم نص أن من لم يتعمد ولم يتغطس في عيد الغطاس عندهم فهو من المبعدين الكافرين الذين يستحقون النار، ماذا تقول له؟ تقول له :لا مانع أنني اعتقد أنه كافر وأتعايش معه سلميا في بيع وشراء في أخذ وعطاء لا نظلمهم حقوقهم، ولا نعتدي على أعراضهم ولا على بيوتهم، فإذن هذا هو الإسلام العام وهو،(الاستسلام لله بالتوحيد).

المعنى الثالث للإسلام الإسلام بالمعنى الأعم: ذكرنا أن الإسلام(خاص، وعام، وأعم) الإسلام الأعم هو الاستسلام اللغوي الذي تقع تحته كل المخلوقات كما في قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣].

ما الإسلام المراد معنا في الحديث؟ «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ» الإسلام الخاص الذي جاء به النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- .



قال: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» خمس دعائم وخمس أسس.

تقرأ (شهادةِ) بالكسر على أنها بدل من خمس ، وتقرأ بالرفع(شهادةُ) على أنها إما أنها مبتدأ لخبر محذوف تقديره منها شهادة أو هي خبر لمبتدأ محذوف تقديره هي شهادة وقد تكون منصوبة، فالشيخ العثيمين ذكر الوجهين فقط قال(إما مرفوعة وإما مجرورة،) إنما هي إما منصوبة أيضا على أساس حذف فعل بمعنى أعني،(أعني شهادة أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)إذا قال القائل بني الإسلام على خمس (شهادةِ شهادةُ شهادةَ)المعنى كله صحيح،.

معنى الشهادة:التي هي التكلم بهذه الكلمة عارفًا لمعناها عاملاً بمقتضاها ظاهرًا وباطنًا، قال: (شهادةُ أو شهادةِ أو شهادةَ)أن لا إله إلا الله.

« شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» لا معبود حق إلا الله أو لا معبود بحق إلا الله لأن بعض الناس يجهل هذا المعنى كثير جدًا حتى من النظار من المتكلمين ، رجل يدعى السنوسي ألف كتاب أسمه أم البراهين في عقائد الأشاعرة هذا الكتاب ذكر فيه أن معنى لا إله أو الإله(هو المستغنى عما سواه المفتقر إليه كل ما عاداه)ولكن ليس هذا هو معنى الإله، هذا معنى الرب إنما الإله بمعنى المعبود، ولذلك المفاصلة، والمخاصمة بين الأنبياء وبين من أرسلوا إليه إنما هي ، في هذا المعنى الذي هو بمعنى أن الإله بمعنى المعبود الحق الذي تصرف إليه العبادة ، فكفار قريش كانوا يؤمنون بأن الله هو الخالق ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]. ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩]. و يعرفون الربوبية ويعرفون الأسماء والصفات قالوا ﴿الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾، و كذلك من الكفار من يؤمن بالبعث، ويعلم أن الله هو الخالق، وأنه سبحانه وتعالى له الأسماء الحسنى وأنه كذلك يميت ويحيي، وأنه سبحانه وتعالى هو الذي خلق السماوات والأرض ويؤمن بالبعث، إبليس عليه لعنة الله ﴿قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الأعراف: ١٤].



فإياك إياك أن تنخدع لأن بعض الناس من المسلمين ينخدعون في هذه الجزئية يقول أن هذا الرجل مؤمن، كيف؟ يقول لك:يعلم أن الله هو الخالق، والرازق، والمحيي، والميت، وأن له الأسماء الحسنى، وأنه يضر وينفع، وأنه مالك الملك، وأنه يبعث الخلق بعد موتهم، وأن هناك جنة، وأن هناك نار ماذا تبقى له؟ نقول: بقي توحيد الإلهية هذا هي التي فيها المفاصلة والخصومة، أن تُصرف العبادات لله وحده فقد يكون المرء معتقد لهذه الاعتقادات، ولكن يصرف عبادته لغير الله فيكون لم يشهد أن لا إله إلا الله على الحقيقة،

« لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» تقتضى أن تثبت الإلهية لله وحده ويتضمن ذلك إثبات ربوبيته وإثبات إلوهيته يبقى معنى لا إله إلا الله يعني لا معبود بحق إلا الله فتثبت العبادة لله وتنفيها عما سوى الله ﷻ، ولذلك انتبهوا أن كلمة لا إله إلا الله نفي وإثبات فالإثبات المحض لا ينفع ولا يكفي، والنفي المحض لا ينفع أيضا لأن الإثبات المحض لو أن رجلاً قال الله إله هل هذا ينفي أن يكون والعياذ بالله عنده وفي معتقده أن بوذا إله، وأن المسيح إله، وأن عزير إله لا ينفي، وإذا قال لا إله كالوجوديين أمثال جون بول سارتر وهؤلاء الفئة الحقيرة فهذا نفي محض، تعطيل محض لأن يكون هناك إله، وهذا لا يقول به عاقل في حقيقة الأمر.

إذن لابد من النفي والإثبات أتى في أكثر من آية: نفي العبادة عما سوى الله وإثباتها لله ﷻ كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦]. فقط ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٧، ٢٨]. الكلمة هذه هي كلمة التوحيد التي هي ﴿ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي﴾ فتبرأ من معبوداتهم وأثبت العبادة لله ﷻ، ولذلك في رواية لمسلم أيضا في هذا الحديث قال: «بني الإسلام على خمس على أن يوحد الله» وفي رواية أخرى أيضا عند مسلم قال «بني الإسلام على خمس على أن يعبد الله ويكفر



بما دونه» يعبد الله هذا الإثبات ويكفر بما دون هذا النفي التي هي في قوله ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة: ٢٥٦]. فهذا معنى لا إله إلا الله.

(وأن محمدًا رسول الله): قلنا هذه الكلمة معناها أن محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- أرسله الله ﷻ بأن أوحى إليه وأمره أن يبلغ قومه هذا الوحي، هذا معنى وأن محمدًا رسول الله إنما هذه الكلمة لها مقتضى لابد من حفظ هذا المقتضى لأن بعض الناس قد يعرف محمد رسول الله بمقتضاها كما فعل الشيخ محمد بن عبد الوهاب في ثلاثة أصول مقتضى هذه الكلمة:

مقتضي(وأن محمدًا رسول الله).

١- طاعته فيما أمر.

٢- وتصديقه فيما أخبر.

٣- واجتناب ما نهى عنه وزجر.

٤- وأن لا يعبد الله إلا بما شرع.

طاعته فيما أمر: لأن ما أمر به النبي ﷺ هو كما أمر به الله ﷻ لأنه مخبر ومبلغ عن ربه.

تصديقه فيما أخبر: أي من الخبر عن الشرعيات أو عن الغيبيات يعني النبي ﷺ أخبرنا عن أشياء تكون في الغيب «لن تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقول الشجر والحجر يا مسلم يا عبد الله ورائي يهودي تعالى فاقتله» غيب أم لا، نؤمن به أم لا، نؤمن، لماذا؟ لأنه رسول من عند الله ﷻ، أرسله الله وهو الصادق المصدوق -صلى الله عليه وآله وسلم.



واجتناب ما نهى عنه وزجر: كما في قوله تعالى ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

وأن لا يعبد الله إلا بما شرع: ليس هناك طريق للتعبد إلا عن طريق النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- وهذا معنى السنة الطريقة المسلوكة، فدع عنك ما يفعله البعض بالاستحسان يستحسن شيء من قبل هواه يقول لا توجد مشاكل ، نقول لا، الشافعي يقول: (من استحسن -أي بلا دليل شرعي فقد شرَّع) هذا يقدم عقله على النقل والشرع كتقديم بعض الناس أيضا المصالح الموهومة على الشرع أيضا، كذلك هذا ينافي اتجاه أن يكون فينا من يعبد الله بالوجد.

الوجد: الأشياء التي يجدها في صدره، الصوفية الغلاة إذا فعل شيئًا ولو كان بدعة وشعر براحة يقول لك أكيد هذا الفعل صح،فنقول أن الصوفية بالوجد مثلا يهتزون ويتمايلون فيما يُسمي بالحضرة ويقبض بقدميه وحي والله مدد ويأتي في آخر الليل يقول أنا شعرت براحة نفسية عجيبة، الراحة النفسية من الرياضة من جريان الدورة الدموية وإفراز بعض الهرمونات ، فالرياضة لمدة ربع ساعة ونصف ساعة طبيا تؤدي إلى إفراز بعض هرمونات السعادة ولذلك الذي يجلس دائما الكسول دائما تجد عنده كآبة ، فالمهم مع الحركة يشعر بسعادة بعضهم يقول كل ما يقربنا من الله حق فتجدهم يشربون الحشيش في مجالس الذكر عندهم، ويسمونه بالشراب بالروحي، وروحي لأن هو لما يشرب الحشيش يشعر بسعادة و الحشيش من المخدرات المسكرة النجسة، فلا يعبد الله ﷻ إلا بما شرعه النبي ﷺ كذلك لا نعبد الله ﷻ بالمنامات والرؤى لأن من الناس كل حياتهم منامات ورؤى فما عُبد الشيطان في الأرض وما عُصِي الله ﷻ بالكفر إلا بالمنامات فكل الأضرحة التي عندنا في مصر هنا كلها منامات.

في رواية لمسلم(وأن محمدًا عبده ورسوله ﷺ،)فوصفه بأنه عبده وأنه رسوله.



(عبده) الذي بلغ من العبادة غايتها-أي العبد المملوك العابد، أي أن النبي ﷺ مملوك وأنه عابد، مملوك أي ملك لله عز وجل، وعابد لأنه قد بلغ من العبودية غايتها لأن ليس هناك أعبد من النبيﷺ وعبده ورسوله نفي للإفراط والتفريط، عبده نفي للإفراط، والغلو في مدحه، فالنبيﷺ قال: «لاتطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله» وكذلك رسوله نفي للتفريط، فإن من ينكر رسالته ينقصه عن منزلته التي أنزله اللهعز وجل عليها ولذلك بعض الصوفية يبالغ في إطراء النبيﷺ في البردة للبوصيري بيت يقول:

ومـــن جـــودك الدنيـــا وضرتهـــا ومـــن علومـــك عـــلم اللـــوح والقـــلم

يقول أن (من) للتبعيض من بعض جودك الدنيا ودرتها الآخرة، ومن بعض علمك علم اللوح والقلم بعض علومك، ابن رجب الحنبلي رحمه الله علق على هذا البيت يقول: (هذا الرجل لم يترك لله شيئا) إذا كان علم اللوح والقلم هو علم اللهعز وجل لأن اللهعز وجل قال للقلم اكتب،قال ما أكتب قال أكتب كل ما هو كائن إلى يوم القيامة، هذا علم الله فإذا عرفه النبيﷺ أين مقامه الآن؟ فإنما الله عز وجل ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول﴾ فإذا أطلع النبي على بعض الغيب فلا بأس به، ويظهر صدقه فيهﷺ إنما الغلو والإطراء فلا، نحن نقف عند هذا الحد أيضا.

قال: وأن محمدًا عبده ورسوله: مسألة وهي :

الفرق بين النبي والرسول :

النبي :من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه إلى قوم موافقين له أو لم يؤمر بالتبليغ، يبقى النبي يوحى إليه ويأمر بتبليغ هذا الذي أوحي إليه إلى قومه الموافقين له يعني على دينه، وإما لا يؤمر بالتبليغ يعني يوحى إليه في خاصة نفسه ولا يأمر، ولذلك حمل



بعض أهل العلم حديث النبي ﷺ «يؤت النبي وليس معه أحد» قالوا على هذا المعنى أنه النبي الذي أوحي إليه في خاصة نفسه يعني أمر بأشياء في خاصة نفسه ولم يأمر بتبليغها، وعلى المعنى الثاني أنه أمر بالتبليغ ولم يوافقه أحد.

والرسول: من أمر بشرع جديد أو بكتاب وأمر بتبليغه إلى قوم مخالفين معاندين له.

لماذا قلنا في النبي قوم موافقين وفي الرسول قلنا قوم معاندين ؟

هذه تحل لنا إشكالية،إذا قلنا ما الفرق بين النبي والرسول ؟ يقول النبي من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه التعريف المشهور صح، فاسأله أقول له أن الله ﷻ وقال ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: ٥٢]. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ﴾ إذا الرسول ، مرسل، ﴿وَلَا نَبِيٍّ﴾ و النبي مرسل، كيف نحل هذه الإشكالية ؟ حلها فيما ذكرت من التعريفين، ولذلك تجد في تأليف أهل العلم كمشايخ الدعوة تجد يقول مثلا :فإن الله لا يرضى أن يشرك معه غيره سواء كان ملكا أو نبيا مرسلا ، فأنت تقول نبي مرسل يعني النبي يرسل، نعم النبي يرسل ولكن إلى قوم موافقين، والرسول إلى قوم مخالفين أو معاندين، هذه عضوا عليها بالنواجذ.

«وَإِقَامِةِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ،وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ» وقد مر معنا شرحها.

من فوائد الحديث:

الفائدة الأولى: أهمية هذه الأركان الخمسة حيث بني عليها دين الإسلام.

الفائدة الثانية:خطورة من فرط فيها- أي في هذه الأركان الخمسة لأنها هي الدعائم والأركان والأصول التي بني عليها الدين.

الفائدة الثالثة: خصال الإسلام تختلف من حيث الأهمية الشرعية، فبعضها أركان للبناء، وهي الخمس وبعضها مستحبات،تتم البناء وهكذا.



الفائدة الرابعة: الشهادتان مرتبطتان مع بعضهما البعض،فلا تكفي إحداهما عن الأخرى، فأصبحا ركنا واحدا،لو قال قائل لا إله إلا الله محمد رسول الله، نقول أسلم،فأين محمد رسول الله؟ لو قال لا إله إلا الله فقط، نقول:لأن هذا لو قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله ،فهي متضمنة فيها، لأن الإله هو المعبود وكيف يعبد بإرسال رسالة وهذه الرسالة أتى بها النبيﷺ.

الفائدة الخامسة: الإسلام دين كامل لا يقبل الزيادة ولا النقصان، الدليل قوله ﷺ بني الإسلام على فقد بني واكتمل البناء،.

الفائدة السادسة: أمانة الصحابة ودقتهم في نقل الأحاديث، الدليل على هذا أن في رواية لهذا الحديث أن رجلا قال لعبد الله بن عمر(صوم رمضان وحج بيت الله)فقال ابن عمر: (حج البيت، وصوم رمضان هكذا سمعته من رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-)فمن لم يقدم جملة قبل الأخرى مع أن المعنى لم يتغير، كيف يتصور أن يغير دين الله ويكتمه؟،ابن عمر روى الحديث فقال(:و الحج وصوم رمضان) فجاء الراوي وقال: (وصوم رمضان وحج البيت) قال ابن عمر لا:(حج البيت، وصوم رمضان هكذا سمعته من رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-) هذه الجملة تدل على أمانة الصحابة في لفظة لن تحيل المعنى وكذلك ابن عمر ممن يأخذون بعدم الرواية بالمعنى، أي أن اللفظ يروى كما هو، ولذلك البخاري رحمه الله في صحيحه، رتب الصحيح على حديث ابن عمر وإذا جئت في صحيح البخاري تجد كتاب الحج قبل كتاب الصوم، أخذ بترتيب ابن عمر لهذا الحديث، فهل يتصور أن الصحابة قد بدلوا، أو غيروا، أو حرفوا، أو تركوا ما أخبرهم النبيﷺ به، فالذي يطعن في الصحابة أحمق، وهو أضل من حمار أهله.



الفائدة السابعة:تشريف النبي ﷺ حيث جمع بين مقامي العبودية والرسالة في قوله عبده ورسوله،

الفائدة الثامنة: جواز إطلاق رمضان من غير لفظ شهر لأن هذه مسألة خلاف بين السلف، هل يقال رمضان بلا شهر أم يقال شهر رمضان؟ وكان الخلاف بينهم أن أحدهم استدل بحديث موضوع وهو أن (رمضان اسم من أسماء الله) وهذا حديث موضوع لا يصح، واستدل بعضهم بالآية فإن الله لم يذكره إلا بقول: (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن)، وقالوا إن الأحاديث قد تروى بالمعنى، ولكن عندنا من الرواة من لم يرو بالمعنى كابن عمر وقال: (وصوم رمضان) وأحاديث كثيرة كحديث أبي هريرة في الصحيحين(لا تقدموا رمضان بصوم يوم أو يومين) إلى غير ذلك من الأحاديث.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

انتهى الدرس الثالث.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

* * * * *